نـافـذة

اللمس الآدمي

الرغبة في الهمس حيث لا شيء يضلل أكثر من الحقيقة لحظة التحدث بها، لن يصدقك أحد، لأن النسبة العظمى من البشرية لا تدركها، فالغريزة شيء شهي جداً، لذلك نجد أن أي شيء تكسبه يغدو أحد مكونات جسدك، فكرك، حديثك، حركتك، وأيضاً أي شيء تنجزه سلباً أو إيجاباً يكون لك أو عليك، وأن يتقدم أحد ما ليربت على كتفك بالصدق العفوي مهنئاً أو معاتباً محاسباً، تظهر حينها الرغبات الخجولة بالحب للحياة الأكثر وعياً والأكبر نضجاً، ومعها تلد العاطفة المختبئة بين ثنايا الاحتياجات، يتقدم العالم بقسوته وعنفه ولطفه وطيبته مقدماً لمساً آدمياً، حيث منه تُمنح دفئاً نادراً، يعيد كل شيء من جديد إلى نصابه.

هي هكذا الحياة، إن لم تعمل لك فاعمل عليها، كيف ننجو منها كي نستطيع أن نقوم بما نحلم به من دون الرجوع إلى الوراء، نصنعه في الواقع، يجذبنا إليه جميعاً في الأمام، حينما يكون مفيداً. الحياة تبدأ من لحظة امتلاك الحب صاحب الصراع مع الذات، وحده يؤدي إليه، فتنجب من أبنائها ما يستحقها، وغير ذلك بعيداً عنها، يمتلئ حضورها بالوحوش، بالقتلة، بالغدر.

كيف بنا نمتلك الأحلام ولا نقدر على تحقيقها؟ نسأل أنفسنا لماذا؟ هل لأنها أحلام مفيدة أم شريرة، تريد السطو على أحلام الآخر؟ أجل هي كذلك، لأنها لا تمتلك الحب ولا الإيمان الحقيقي بما نريد الوصول إليه، الأحلام ليست في السماء، إنها في العقول القابلة لتحويلها إلى حقائق. إذاً الحياة تقف بين نعم ولا، بين الحب والكراهية، بين الإيمان والإيمان، هوى تحتاج إليه روحها الكلية الموزعة في أجساد أحيائها، حيث لا كفر، لا حسد، لا كراهية، لأن الأمور الجيدة تحصل مع المؤمنين، تُعلمهم بأن ما بين الصخر والصخر ينبت الزهر، وما بين العسر والعسر يظهر اليسر، ولو أن الحياة سهلة وبسيطة، لما ولدت أكفاء يديرون وقتها ونظم التعامل معها.

كيف بنا نمضي حياتنا من دون أن نرى أضواءنا المسكونة في جوهرنا، ألا يبدو أن كل شيء مختلف بيننا وبين أحلامنا، بما أننا لا نستطيع أن نطلع عليها أحداً. عالم قاس ودام، ما أن يرى بصيص ضوء يستشعر به الأمل، يسارع لقتله ووأده حياً.

إنَّ الرغبة في استحضار تعاليم الحب التي تؤمن بالإيمان ولا تؤمن بالأديان وفردها بأسلوب مرن تلغي العبودية المخفية ضمنها، وترمي بمفرداتها في مهالك التاريخ.

ما معنى الحرية العاقلة، أو أن تكون حراً مسيساً؟ كيف يبدو المستقبل القريب ومفهومه البعيد؟ أليست الأزمان متصلة ببعضها؟ نحن البشر من اخترعنا الأمس واليوم والغد، واستقينا المعرفة من تكوين المكون الكلي الذي دعانا للتأمل في مصنوعه ومنجزه، عندما تمتلك شيئاً يماثل ابتكار عمل فني مجيد، تنتشي الروح بعد أن تدور طويلاً في فلك الألم، فتحصل على الإيجابية التي ترسم سلوكاً فكرياً إنسانياً مهماً، في تلك اللحظة تتوالد الطاقات البناءة التي تعمل على إظهار الإيمان الدقيق والنوعي بضرورات منح التفاؤل والسعادة والأمل لإنسان اليوم المأزوم من معاصرته للواقع الذي يريد مغادرته إلى المستقبل، هل يمكن أن تشهد إنساناً بلا قلب، بلا عاطفة، بلا ضمير، مؤكد لا، لكن من الممكن أن يمتلئ كل ذلك بالقسوة والشقاء والعذاب والرغبات في السيطرة الجزئية أو الكلية، لينتهي معها الفعل الإنساني الإيجابي.

أين تكمن مأساة الإنسانية؟ هل هي متراكمة في معاني الحضارات أم في خوف العبادات التي أنتجت السلطات الدينية، أو في لحظة أن تخور قواها لتقترب بمشاعرها من النهاية التي تحكمها متاهات السياسة وغموضها المدار من الكوني؟

ماذا يعني اللمس الآدمي للأشياء؟ هل يؤدي إلى إحداث الهدوء والاتزان بفعل من المكون الكلي، ومن ثم الاستقرار لغاية تفعيل النظر المديد واكتشاف القادم من الحب والكراهية وفرزهما عن بعضهما، والانطلاق لبناء حياة واقعية بدلاً من تلك الحياة المنحطة التي انتشرت وهيمنت على مجريات انفعالات البشر مشوهة صورهم؟! مريع جداً أن نبقى فيما نحن عليه، ويقع على عاتق المقاومين لمشاعر العزلة التي تؤدي إلى إقصاء الذات أولاً عن الآخرين، ومن ثم عزل الآخرين عن المشهد ما يعني قتل الحب، كالموت لا يعترف بالتنوع البشري، أو بالثروة أو الجاه، وهو بالنسبة للحياة شيء يختلف تمام الاختلاف كما الحال في الرجل الذي يطلبه، لأنه بعيد عن وجوده، وللمرأة يشكل وجودها وكيانها، فالحب بداية المعرفة، كما إن النار من الشمس بداية النور، كلما أشرق أضفى على الإنسانية معاني الأخلاق الفاضلة.

هي هكذا الحياة التي نطلق عليها أنها عصرية ومعاصرة وحداثوية وحديثة، لذلك نجد إنسان الواقع تاه في الخيال، ودخل في متاهات المبالغات الغرائبية التي تحولت في فكره إلى مواقف عادية، تحمل صرخات استثنائية، ما يظهر المشاهد المقلقة وابتذال الأخلاق السائدة التي تعلن الحاضر بإرادة استعادة الأحلام الفائتة.

إلى أين تتجه الرؤوس الباحثة عن التسلق حينما تنحني للأرض؟ وهل تكون في حالتها تعبيراً عن «التحايا» أم تعزيزاً للإجلال، أو أنها تخفي الرهبة والارتياع من أولئك العابثين المسيطرين الواصلين إلى القبض على مصائر الناس نتاج الحرمان من الحب والعاطفة وخيال المرأة المؤنسة التي تَربتُ بحنانها على الأكتاف، أو بفعل من ذاته ليكون لها.

إنهم المحتاجون والمحرومون في آن إلى ذلك اللمس الآدمي الذي ظهر أول مرة مع حضور الحياة، حيث كانت عفوية الخطيئة لا تدرك معنى الكره الجشع القتل، فصنع فيها الجمال الأبدي الذي لا نظير له.

من منا لم يُلمس أو يُلتمس من أحد ما، ولو لم يكن ذلك، فهل كنا وصلنا إلى ما نحن عليه، ليتفكر الذين وصلوا، فهم سيجدون أن هناك في حياة كل واحد لمسة نقلته مما هو فيه إلى ما لم يكن يتوقعه، وعندما ندرك ذلك، أو نصل إلى معرفته، هل نبحث عنه، ونتمسك به، حتى وإن كانت قوى خفية غير مرئية أو مرئية؟ كيف بنا نبادر لتقديم الشكر لها؟ أم إننا ننكرها، ونحادث ذاتنا، بأننا نحن من صنع ذلك بعد وصولنا إلى تلك التي تعيدنا ربما إلى البداية، أو تسقطنا في مجاهل التيه والألم؟

موضوع أطرحه يخص المؤمنين بالحياة والباحثين عن التألق فيها، لذلك كان عنواني اللمس الآدمي الذي نحتاج إليه.

د. نبيل طعمة

زوجة المرحوم نضال سيجري تدخل الأدب من «عتبة الباب»

سندس برهوم: «العتبة» هي مفترق الطرق بين قرارين هما أن تبقى أو أن تغادر

سارة سلامة

الإبداع يولد في الإبداع ويخلق عنده متجدداً ففي غاليري «ألف نون»، وقعت رواية للكاتبة السورية سندس برهوم تحت عنوان «عتبة الباب»، وفي إسقاط واضح على الأزمة التي تعصف ببلدنا تضع برهوم بين يدينا هذه الرواية عتبة الألم.. عتبة الحب.. عتبة الشجاعة، غمسها الحب بألوان خرافية، ألوان نراها في وجه لور المذعور، في ثياب أطفالها الحزينة، على ستائر نوافذ بيتها المهشم.

العتبة

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» قالت الكاتبة سندس برهوم: إن «الرواية تتحدث عن الأزمة السورية، وما دفعني للتفكير بها هو مجموع الصدمات التي تعرضنا لها في هذه الحرب، ومن أكثر العناصر أهمية التي واجهتنا في الأزمة هو قضية الأمان التي افتقدناها بشكل كبير منذ البداية تقريباً، وهذا ما فتح لنا الباب أمام المواجهة مع الخوف بطريقة ما، وجعلنا نفكر بالأمور التي يمكن أن نفعلها لنواجه هذا الخوف، وكذلك كيف نستطيع الهرب من الخوف والتخلص من ملاحقته وما بوسعنا أن نفعله كي نصل إلى حد ما من الأمان».

وأضافت سندس إن «عتبة الباب، تناقش موضوع الخوف تحديداً وذلك من خلال امرأة سورية هي أم لطفلين وتعيش في دوامة أن تبقى في هذا البلد أو تغادره، وتعيش صراعاً بكل أبعاده النفسية «جسدياً، وصحياً»، وتعيش الغربة وهي داخل بلدها، وتتخيل نفسها أنها هاجرت مثل كثير من الناس الذين خرجوا لكي يبحثوا عن ملاذ أو ملجأ آمن من الخوف العاصف بهم».

وعن اختيارها العنوان أوضحت برهوم «اخترت هذا العنوان ببساطة لوجود كثير من الناس الذين قرروا بسرعة الخروج وغادروا البلد، ووجود ناس امتنعوا عن الخروج وقرروا البقاء رغم كل الظروف، «العتبة» هي مفترق الطرق بين قرارين هما أن تبقى أو تغادر»، مبينةً أن العتبة هي لحظة التفكير العميق الذي يصاحبه حزن شديد، وشعورك بلحظة تترافق مع كل الآلام سواء اخترت المضي بأي طريق فأنك لا بد أن تحمل كل الآلام وأنت تقف على العتبة».

أما عن شخصية الرواية فقد أفادت برهوم أنها «تعيش الألم الذي يخترق الرحيل، وتعيش كل الألم والخوف الذي يضني البقاء، لذلك بقيت هذه الشخصية على العتبة ولم تقدر أن تفعل شيئاً، لأنها لم تقدر على أن تقاوم هذا الحب الذي يجمعها بكل الناس الموجودين بوطنهم، وفي النهاية تختار إغلاق الباب والعودة إلى بيتها، واستطاعت أن تأخذ قراراً بعدم الرحيل والهرب باختصار هذه هي العتبة».

وحول حديثها عن أعمالها السابقة نوهت برهوم بأنه: «سبق لي أن أنجزت رواية صغيرة ولكن لا أستطيع اعتبارها الأولى بل هي تشكل لي العلاقة بنضال، قدمتها كهدية للأصدقاء إلى روح نضال سيجري، ومن المؤكد أنني اعتبرها بنتي الأولى ولكنها رواية صغيرة وكتبتها في فترة وجود نضال لذلك شعرت أنها لا تباع بل تهدى، وقررت أن العتبة هي البداية الأولى والانطلاقة».

ووجهت برهوم الشكر إلى غاليري ألف نون والأستاذ بديع جحجاح وقالت: «أنا سعيدة جداً لأنني وقعت الرواية بـ«غاليري» ألف نون، وأشكر الفنان بديع لإتاحة الفرصة للكلمة، وشيء جميل أن تأخذ دورها في هذا المكان الذي يمثل الجمال المطلق، وحضرنا اليوم الموسيقا المباشرة الحية من خلال العزف على الكمان الذي أضفى معنى جميلاً أو بمعنى آخر كل إضافة للجمال هي جمال آخر».

رواية مألوفة

وبدوره تحدث صديق الكاتبة إبراهيم زكريا عن الرواية وقال: «للوهلة الأولى ينتابك إحساس بأنها رواية مألوفة للقارئ وقريبة منه، لأنها ببساطة تلامس كل مرحلة وكل ظرف مررنا به في ظل الأحداث التي تعصف في بلدنا الحبيب سورية، ولامست أشياء توجعنا وتؤلمنا»، مضيفاً إن «الكاتبة بدأت بهذه الرواية لتعتبرها الانطلاقة لها في عالم الكتابة بعنوان «عتبة الباب»، وكم نحن بحاجة لتجاوز هذه العتبة وأن ندخل في العمق ونعيش في بلدنا».

وأفاد ذكريا أن «الرواية تتكلم عن وجع كل مواطن سوري عاش في هذا البلد، وتتكلم عن المأساة التي نعيشها، فبعد مرور ٦ سنوات على الأزمة نبقى شعباً يقاوم ويحب ويعيش ويتأقلم مع كل الظروف، مبيناً أنه منذ أيام «ضرب الإرهاب مجدداً وسط العاصمة ورغم كل ما جرى نمارس حياتنا بالشكل الطبيعي، وهذا ما لامسته الرواية، عتبة الباب تحدثت عن معاناة الشعب السوري وعن المواطن السوري وعن سورية الجريحة».

داخل كل منّا موسوعة

ومن جهته أكد الصحفي لؤي سلمان أن: «هذه الرواية تعتبر بمنزلة التجربة الأولى للكاتبة سندس، حيث كان لها تجربة سابقة قدمت خلالها رواية صغيرة، ولكن هذه التجربة تؤكد أنها روائية واعدة وستبدأ بروايات جديدة وإذا ما قارنا بين التجربة الأولى والثانية نلاحظ فرقاً كبيراً سواء من حيث النوع، أم من حيث الطرح، أو من حيث التكنيك الكتابي، ومن عدة نواح نلاحظ أن هذه التجربة بدأت توضح وتتبين أكثر».

سندس برهوم كاتبة سورية من مواليد عام ١٩٧٥، نالت إجازة في علم الاجتماع من كلية الآداب في سورية، ودبلوم علم نفس أطفال من الجامعة البريطانية، ودبلوم حماية طفل معنف من المعهد العالي للبحوث السكانية في سورية، وماستر في الرعاية النفسية الأولية في مناطق الكوارث والحروب: اختصاصية اجتماعية في وزارة الصحة السورية منذ عام ٢٠٠٠.

نشرت عدّة مقالات في مجلة «شبابيك» وجريدة «بلدنا»، «عتبة الباب» هو عملها الأول، ويذكر أنها زوجة المرحوم نضال سيجري.

> **إبراهيم زكريا: الرواية تلامس كل مرحلة مررنا بها في ظل الأزمة السورية**
>
> **لؤي سلمان: نسأل في ظل الحرب أين الكتّاب؟ موجودون ولكننا نهمشهم**

العربية وظواهر المعرفة... بحث في المخيلة الجمعية والأداءات الفردية

د. صلاح الدين يونس: المسألة النقدية صلتها وشيجة بالدرس البلاغي والنقد والبلاغة

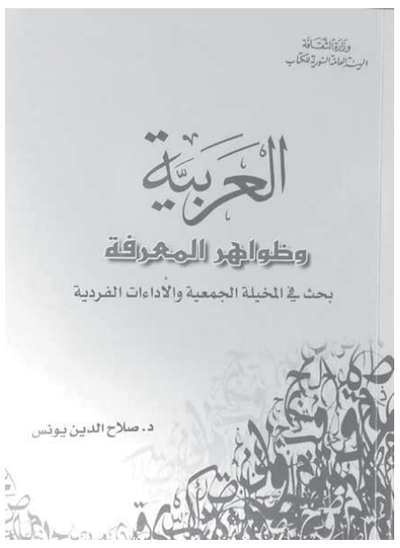

سوسن صيداوي

من الإصدارات الحديثة لوزارة الثقافة– الهيئة العامة السورية للكتاب، بحث قام به الدكتور صلاح الدين يونس، يحمل عنوان «العربية وظواهر المعرفة»، بواقع مئتين وثلاث وخمسين صفحة، متضمنا ثلاثة فصول. يقدّم هذا الكتاب لقارئ من طبيعة ثقافية، تقوم على التواصل بين مشكلة التراث بأنساقه: اللغوية والبلاغية والنقدية والفكرية، وبين معضلة الحداثة.

ولتحقيق التوازي ما بين صراع التراث المحقق والحداثة، عمد المؤلف إلى منهج التحليل المقارن بين نصوص إبداعية، وأخرى نقدية قامت عليها عند القدماء، وبين نصوص من الإبداع والنقد الحديثين في غاية واضحة منه، أساسها الاحتكام إلى مسوغات النشوء وضرورات الارتقاء عند كل جيل من المبدعين والنقاد.

غاية البحث

حاول مؤلف الكتاب د. صلاح الدين يونس في هذا العمل، استقصاء المقولات التي أنتجها القراء ومن بعدهم البيانيون والمناطقة وأهل المعاني وأرباب الشعائر اللغوية، ثم استتبعها هذا بمواصلة النقاد للبلاغيين سواء التقيا أم افترقا، كما استرشد بآراء من واصلت منهجيته العصور حتى غدت كأنها تولد من بين أصلاب التراث ومن بين الترائب الحديثة، وفي إثر ما تقدم حاول أن تكون قراءته–على قراءاتهم– تقر بمسألتين جوهريتين هما كما تحدث «إن الاجتماع على الثوابت لا ينبغي حصوله إلا بعد الإقرار بـ«التغاير» مبدأ يحكم صيرورة التاريخ وصيرورة الفن، والثاني هو أن أنسنة السياقات الأدبية وما شاكلها وما خالفها في قروننا الهجرية الأولى جعلت من المناطقة والفلاسفة والبيانيين واللغويين ينتجون تشاركات مع الأمم العريقة، كالفرس واليونان والرومان، من خلال إخصاب الخيال الشرقي، «العربي الإسلامي» بالأنسنة الجامعة للتقاربات والتغايرات والفرائد والمشتركات بين الآداب القومية، ومن هنا وجد شعرنا الوجداني والصوفي والسياسي في القرون الهجرية الأولى مدخله إلى القرون الميلادية الأخيرة».

قراءة الإبداع والإبداع في القراءة

تحدث المؤلف في مقدمة كتابه عن القراءة التي اعتمدها بأنها ليست منتظمة في البنية التاريخية التي ينسحر بها القارئ المعاصر، وذلك انطلاقا من موقعين شرح عنهما قائلا: «الأول هو قربها من النظم الإسلامية في التدوين والامتثال والالتحاق بالنصوص القدسية الأولى، أو على أنها من معطياتها أو بمنزلة الشروح من المتون، والثاني يتعلق بمضمون القراءة، ونعني أننا لم نقرأ تلك المرحلة القرون الخمسة كنظم داخلية تقتصر على اللغة وشؤونها، بل تقدم بنا الوهم– وإن شئت بالمطاف– نحو الحدود الانثروبولوجية، بعد أن تخلصنا– كما نزعم– من السلطتين: الثيولوجية والسوسيولوجية، وكان الاستقصاء المزعوم محتاجاً إلى فضل تأمل، لأن المسألة النقدية ذات صلة وشيجة بالدرس البلاغي، وأما النقد والبلاغة فما كان لهما أن ينموا متسارعين، لولا ارتباط الدرس اللغوي بالدرس الديني، والبلاغة إنما نشأت لتمكين المسلم من علوم الدين، والتمكين محوج هو الآخر إلى تعزيز من خارج حدوده، وهكذا قادنا» التحقيب «لخصوصيات اللغة وارتباطاتها بعلوم الدين والدنيا إلى رصد المفارقات والتقاربات بين تفكيرنا البلاغي ومصادر الخارج الفلسفية من الجهة الأولى، ومن الجهة المقابلة قاربنا بين أصالة الدرس اللغوي وروافده من خارج العقل الشرقي».

كما سعى د. يونس عند تأمله للنصوص البلاغية والنقديه، إلى إيجاد مخرج لإشكالية الواحدية والتنوع في المتون العربية الأولى، وذلك من خلال الإقرار بالعناصر المكونة الأصيلة والأخرى الوافدة الرافدة لدى المتراكمات في اللغة والبلاغة والنقد.

أنطولوجيا اللغة

في البحث تم طرح موضوعة «أنطولوجيا اللغة»، ومن وجهة نظر المؤلف، انطلاقا من موقع دراسة اللغة البشرية كما لو أنها كائن إنساني يتم التساؤل من خلاله عن كيفية تحديد «ما الموجود؟و ما الكائن؟» ليلتزم السؤال في «الماورائيات» في سعي لإدراك الأشياء ومفردات المعرفة في ذاتها من خلال المظاهر الخارجية.

وحول هذه الموضوعة تكلم الباحث في مؤلفه «الأنطولوجيا من أرسطو ٣٢٢ ق. م إلى ديكارت ١٦٥٠ علم مشغول بالماورائيات، وفي هذه الحقبة من أرسطو إلى الفارابي سنة ٩٥٠م كانت الغاية منها– عربيا– أو في الفلسفة العربية الإسلامية الوصول إلى أسس المعرفة، فالشعر عند العرب جوهر أنطولوجي كينوني منذ التكون اللغوي في إثر التكون الإثنوغرافي، وهنا حاولنا فك الارتباط بين النزوع المثالي المتعالي والإبداعات العربية، لتنتظم في التاريخ الثقافي البشري على قاعدة المكتسب والواهب.

كما أوضح بأنه عند قراءتنا لطبيعة الشعر ولعلاقة الطبيعة بالوظيفة سنرى كيف يتغاير الشعر عن النثر «حاولنا تقصي آراء النقاد واللغويين والفلاسفة المسلمين لوظيفة الشعر المنبثقة من طبيعته، والمغايرة للأجناس الأخرى كالخطابة، وبما أن للشعر خصوصية تبلغ حدود السلطانية فقد ظل متعاليا على النثر، مفارقا له في الهدف والبنية، إلا أن سيرورة التفلسف العربي قد مضت عبر النثر وأن شعراء القرنين الثالث والرابع قد تفلسف معظمهم، ما أدى إلى انكسار الفارق بين القطبين: الشعر والنثر، وهنا رأينا في الانكسار المذكور زعزعة لمركزية الشعر وإحالته إلى أحد مكونات الأمة وليس ديوانها الوحيد».

في البلاغيات والأسلوبيات

وفي العلاقة الواصلة الفاصلة بين البلاغة والأسلوبيات المعاصرة، كان المؤلف على يقين أن ظروف النشأة مختلفة تماما «فالبلاغة العربية إنما نشأت تحت شروط التقدم في الدرسين: الفقهي واللغوي، لكنها سرعان ما غادرت مسوغي النشوء، لتلتحق بالعلوم الوافدة استقبالا وعطاء، أما الأسلوبيات فقد نشأت من فيض الدرس التجريبي الغربي وتواصلاته مع الدرس اللغوي ولاسيما الفيلولوجية، وأما ما هو واصل– بدرجة التشابه النسبي–بين الدرس النقدي وشقيقه البلاغي من جهة وبين المناهج الأسلوبية الغربية من الجهة المقابلة، فما هو إلا من قبيل إسقاط الحاضر على الماضي.

ختام الكلمة

أما الكلمة الأخيرة في مقدمة د. صلاح الدين يونس في بحثه، أفصح خلالها عن رغبته في الكشف عن النخبة التراثية وعن دورها في التحول النوعي من الالتزام في البنية العامة ذات العمق الديني وذات الكثافة السايكولوجية العالية، إلى صنع الفضاءات الجديدة مع البنى الفلسفية والدرس اليوناني دون الانعتاق من البنية الأم. مشيراً إلى أن بحثه هو محاولة فردية تخضع للشروط التي أنتجتها، وتقر بشرعية الاختلاف على أسس منهجية منعتقة من الأفهام المحنطة.